

بسم الله الرحمن الرحيم

أ.د/ طه جابر العلواني

كلمة د/طه في اجتماع المعهد في إستانبول

أود أن أقول: إنه منذ ما يقرب من خمسة عقود وإخوانكم المؤسسون لهذا المعهد المبارك يحملون هذا الهم الفكريّ وقد حملوه فيما أعلم "بقوة" وأخذوه "بقوة" وقطعوا به ما قدر الله لهم من أشواط، وها هم يحاولون تسليم الراية إليكم، إلى جيل جديد أكثر شبابًا وفتوة وقدرة على إنجاز المهام الصعبة. وأيّة مهمة أصعب من أن يحمل الإنسان هم "إصلاح وتسيّد ومراجعة تراث ممتد على خمسة عشر قرنًا من الزمان؟"، تراث يهيمن على قارّتين من قارات الأرض الست ويتغلغل في الأربعة الباقية منها بأشكال وأحجام متعددة. تراث يقوم على فكر تعدديّ في مصادر نشأته وتكوينه وإلهامه وسيورته وصيرورته على حد سواء، حافل بكل أنواع النشاط الفكريّ من تأسيس للأفكار وعلمها وإغنائها بالمساجلات والمناظرات والحوارات والخلافات والمواقفات، تراث تتلاقى فيه العقائد الدينيّة والأنظمة الفلسفيّة والنظريّات العلميّة والأنشطة السياسيّة ويتعدد الفاعلون فيه. تراث حاور الموروث البشريّ كله فقبل ورفض وصدّق وهيمن واستوعب وتجاوز. تراث أرسى قواعده أبنائه على اختلافهم من سنّة وشيعة وصوفيّة وسلفيّة ومرجئة ومعتزلة وفرق وفتنات ومذاهب وأحزاب وسواها. تراث كان منفتحًا على سائر الأنساق فانفتح على اليهوديّة وانفتح على النصرانيّة وعلى الأديان والمذاهب الهنديّة والأسويّة وغيرها، تراث قام على مجموعة من القيم لم تجتمع لتراث قبله؛ وتفاعلت فيه عقول ما اجتمعت لتراث آخر. ولكنّه في أيامنا هذه نجده قد أصيب بكثير من الأمراض والأعراض، وقد تكون الإصابة قديمة وبرزت آثارها اليوم بشكل فاقع.

الأزمة الفكرية:

لقد شخّص المعهد عند التأسيس أزمة الأمة وأسباب تراجعها بأثما "أزمة فكرية"؛ وذلك يعني أنّ السؤال الذي طرحناه لم يكن سؤالاً عن العقيدة ولا عن الأخلاق ولا عن الفقه وأصوله ولا التفسير وآثاره ولا العلوم والمعارف الحداثيّة ما لها وما عليها، بل كانت الأسئلة التي طرحناها منذ البداية عن المشاريع الفكرية وأزمتهما ولم لم تستطع تلك المشاريع أن تجيب عن أسئلة "البعث والإحياء والتجديد والاجتهاد" ولم لم تستطع تلك الأفكار التي أطلقنا عليها "فكرًا إسلاميًا" وأردنا بها الأفكار التي اتخذت من العربية أو العقيدة الإسلامية أو الاثنين معًا حاملًا للتعبير عنها وعلى ذلك فنحن بعد ما يقرب من أربعين عامًا نقف اليوم لنستعيد الأسئلة التي طرحناها حين فكرنا بتأسيس هذه المؤسسة المباركة كيف تصورناها آنذاك وما علاقتها بالأوضاع التي كنّا نعيشها وما الذي علينا أن نفعله اليوم؟ هل أجبنا عبر هذه العقود عن تلك الأسئلة؟ هل أعدنا تصنيفها وتوجيهها؟ هل زدنا عليها، هل نقصنا منها؟

هل عرفنا كيف نجربها في الواقع لنصل إلى آثارها ولنبلغ نتائجها؟ ما الذي أجزأنا؟ وما الذي لم ننجزه؟ وما هي الأسئلة التي لم نجب عليها طيلة هذه الفترة كيف نعيد وضعها في أوسع سياق ممكن: سياق يمكن أن يتسع لمختلف أشكال الفكر؟ إنّ كثيرًا من الأفكار تظهر إلى الوجود وتولد، ويمكن أن تنسى لزمان، لكنّها قابلة لأن تظهر مجددًا بنوع من "سلطة التوافق" على حلول لتحديات مستمرة دائمة لا تنقطع، وذلك قد يفرض علينا أن نقدم صيغًا مبتكرة لأفكار قديمة. إذا لم نستطع أن نطوّر تلك الأفكار القديمة. ولكي نضع معالجات المعهد "للأزمة الفكرية" وندخلها باعتبارها جزءًا من تاريخ الفكر الإسلامي ومرحلة من مراحلها نستطيع أن نضعها في إطار التأمّل في الجدول الزمنيّ التالي لتكون على ذكر دائم لها، ولو بشكل عناوين تنبه إلى ما وراءها أو إلى ما تحمله؟ لكّي قبل ذلك أود أن أُلّم باختصار شديد بأهم معالم فترة التأسيس !!

كنا على أعتاب القرن الخامس عشر الهجريّ ونقترب من بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي. كانت أهم التحديات التي واجهت الأمة احتلال أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي. وصدور "وعد بلفور" للوكالة الصهيونية اليهودية وإلغاء "الخلافة العثمانية"، وانفراط عقد العالم الإسلامي وتقسيمه إلى دويلات قومية وإقليمية والصراع بين الهاشميين والسعوديين.

| الدلالات الفكرية | المعالم التاريخية |
|--|---|
| اختراع الكتابة العربية (ساعد على ذلك مبشرو الحيرة من النصارى العرب الذين كانوا منتشرين بين أماكن الرحلات التجارية، واحتياج التجار إلى الكتابة) | القرن الخامس الميلادي. قوتان أعظم: الروم والفرس. إرهاصات وتوقعات لظهور النبوة. |
| نزاعات مع مختلف الميول والاتجاهات الدينية الأخرى. ووجود قوتين تحكمان العالم القديم. | 610-632 نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجيل التلقي. إعلان النبوة الخاتمة ونزول آخر الكتب بالرسالة العالمية الخاتمة. |
| نزاعات داخلية بين المسلمين وظهر أولى التساؤلات الفقهية، والمشكلات الفكرية. | 632-660 / 10-39 هـ الخلفاء الراشدون استمرار لجيل التلقي، وبدايات جيل الرواية والفقهاء. |
| استبدال "الأمة بالدولة" و "الدعوة" "بالفتح" و "الخلافة بالملك". وآثار ذلك. | 660-750 / 39-132 هـ السلالة الأموية (العاصمة: دمشق). انقلاب أم تطور طبيعي. |
| تأكيد الطابع الإسلامي للدولة بإجراءات متعددة، ولا سيما بأول توحيد لنسخ القرآن في المصاحف. ظهور المرجئة والشيعة والخوارج. بروز الدور الهام للفرس. جمع الحديث وظهر الفقه. رعاية الدولة لمشروع ترجمة كتب يونانية. | أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن. أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني الهجري. |

| | |
|--|---|
| <p>أولى التأملات حول اللغة العربية. (وهل حدث اختراق للغة؟)</p> <p>تشكل أكبر المذاهب الفقهية.</p> <p>ظهور الصوفية والشيعية والمعتزلة.</p> <p>طرح العقل إلى جانب الوحي مصدرًا للفقهاء.</p> <p>بروز آثار الترجمة.</p> | <p>750-1258/132-655 هـ -: السلالة العباسية (العاصمة: بغداد).</p> |
| <p>صدام بين الدولة ومدرسة المعتزلة الفقهية. أهل الحديث وأهل الرأي.</p> <p>أولى موجات "إحياء السنة".</p> <p>وضع حد لـ "تجاوزات" الصوفية.</p> <p>في الفقه: الأشعري (توفي في العام 935-936م)</p> <p>(324-325هـ)، الماتريدي (توفي في العام 944م-333هـ)</p> | <p>-النصف الأول من القرن التاسع (النصف الأول من القرن الثالث الهجري)</p> <p>-رد فعل سلفي للمتوكل.</p> |

| الدلالات الفكرية | المعالم التاريخية |
|---|---|
| <p>في الفلسفة: ابن سينا (توفي في العام 427 هـ - 1037م).</p> <p>ابن حزم (توفي في العام 1064م 456هـ).</p> | <p>القرن العاشر: سيطرة الوزراء الشيعة على سلطة الخلافة في بغداد. (الرابع الهجري).</p> <p>خلفاء منافسون في قرطبة (929-1031/316-422هـ: سنة) وفي القاهرة (973-1171/362-566هـ: شيعية)</p> |
| <p>الفكر اليهودي: ابن جبرول (توفي في العام 1058).</p> <p>الموجه الثانية من "إحياء السنة".</p> <p>الماوردي (توفي في العام 1058م - 450 هـ).</p> <p>والغزالي (توفي في العام 505 هـ 1111م).</p> | <p>القرن الحادي عشر (الخامس الهجري): أزمة الأندلس المسلمة - أسبانيا - أو جزيرة ليبريا.</p> <p>تدخل الأتراك السلاجقة في المشرق.</p> |
| <p>في الفلسفة: ابن باجة (توفي نحو العام 1138م -</p> | <p>القرن الثاني عشر (السادس الهجري): في المغرب العربي:</p> |

| | |
|---|--|
| <p>533هـ)، ابن طفيل (توفى في العام 1185م - 581هـ)، ابن رشد (توفى في عام 595هـ - 1198م). في الفقه: فخر الدين الرازي (توفى في العام 606هـ -1198م). في الصوفية: روزبهان باقلي، نجم الدين كبرى. الفكر اليهودي: ابن ميمون (توفى في العام 1204م -600هـ). في الصوفية: ابن عربي (توفى في العام 1240م - 637هـ).</p> | <p>الإصلاح الموحد في المشرق، ضعف الخلافة.</p> |
|---|--|

| الدلالات الفكرية | المعالم التاريخية |
|--|---|
| آخر تجليات الفكر المستقل. | القرن الثالث عشر (السابع الهجري): نهضة أوروبية في الغرب. غزو المغول للشرق. |
| الموجة الثالثة من "إحياء السنة". ابن تيمية (توفى في العام 1328م - 728هـ). الفكر الشيعي: حيدر آملی (توفى في العام 1385م - 787هـ). الفكر الاجتماعي: ابن خلدون (توفى في العام 808هـ - 1406م). | القرن الرابع عشر (الثامن الهجري): اعتناق المغول للدين الإسلامي. |
| | القرن السادس عشر (التاسع الهجري): المذهب الشيعي يصبح الدين الرسمي في فارس. سيطرة العثمانيين على الجزء الأكبر من غربي العالم |

| | |
|--|---|
| | الإسلامي. |
| الملا صدرا (توفي في العام 1050 هـ -1640م). | القرن السابع عشر (العاشر الهجري): ازدهار فارس. |
| 1175 تجديد إسلامي في الهند: شاه ولي الله (توفي في العام 1762م). هـ -1762م). الوهابية في الجزيرة العربية، أول حركة أصولية كبيرة. | القرن الثامن عشر (الحادي عشر هجري): إنجلترا تحتل الهند. أولى منازعات السلطة العثمانية. |
| 1897م ظهور النزعة الإصلاحية: الأفغاني (توفي في العام 1314 هـ). في الهند: أحمد خان (توفي في العام 1898م 1315 هـ). | القرن التاسع عشر (الثاني عشر): عصر الاستعمارات الكبرى |
| علي عبد الرازق (توفي في العام 1386 هـ 1966م). محمود طه (توفي في العام 1405 هـ -1985م). إنتاج مكثف حول موضوعات الهوية العربية والهوية الإسلامية. | القرن العشرون (الثالث عشر الهجري) 1342/1924هـ: إلغاء الخلافة. ابتداء من ذلك العام إلى 1364/1945هـ، تحرر البلدان الإسلامية من الاحتلال بقيادات دينية من العلماء والفقهاء. |
| علماء العراق وثورة العشرين. التحول في القيادات من العلمانية إلى الفكرية. بروز الفكر القطبي وسيادة أفكار المقارنات على أيدي سيد قطب والمودودي. المعهد العالمي للفكر الإسلامي عمل في ميدان الإصلاح الفكري والمعرفي، باعتبار ذلك واحداً من منطلقات المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، ويوجه خطابه إلى العلماء والمفكرين والباحثين وجمهور المثقفين للعمل على إصلاح الفكر والمنهجية الإسلامية على مستوى الأمة متجاوزاً حدود اللغة والإقليم. | النصف الثاني من القرن العشرين (النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري). |
| هناك تياران سلفيان برزا كشكل من أشكال الاستقطاب الدعوي والحركي والأمني، كما هو بارز في "السلفية العلمية" و"السلفية الجهادية". | القرن 21 (القرن 14هـ) |

من الواضح من هذا الجدول أننا قد تبوأنا مكاناً لا بأس به في المحطة الأخيرة من محطات التطور والتحول في الفكر الإسلامي ونحنا في إيجاد وعي متفاوت المستويات لكنه متحد في النقطة الأساس منه ألا وهي: حاجة هذه الأمة إلى مرجعية فكرية وثقافية ومعرفية وحضارية تستطيع أن تستجيب لحاجاتها المتعددة وتعينها على مواجهة هذه التحديات المتسارعة فالיום يتساءل الناس: هذه الفتن والاضطرابات والحروب الأهلية والتوترات التي لم يعد بلد من بلدان المسلمين في منأى عنها أو عن شيء من غبارها وآثارها .. ما هي؟ ما دلالاتها؟ هل من سبيل لإيقافها؟ أهي دليل عجز لدى المسلمين عن معالجة مشاكلهم والوعي بوحدة أمتهم منطلقاً وبداية ومصيراً وغاية، لم يعد الناس يقتنعون بأن مجرد الإحالة على الاستعمار أو الغرب أو الفوضى الخلاقة أو إسرائيل كافٍ لإعطاء تفسير لهذا يستطيع أن يقنع جماهير المسلمين في كل مكان بأن هذا الذي يحدث بفعل فاعل أجنبي، إن أي مسلم اليوم في بلاد الأكرليات المسلمة أو الأقليات يتساءل عن هذا الفشل الذريع للمسلمين في معالجة أبسط الشؤون والشجون التي تعالجها الأمم الأخرى بوسائل بسيطة وسهلة تدخل تحت استطاعتها فما بال هذه الأمة المسلمة أصيبت بالعجز عن معالجة المشاكل ومواجهة التحديات وفقدت فاعليتها وقدرتها على توليد الحلول أو مجرد صياغة شيء منها واقتراحها. أمّا إيجاد فاعلية لدى الأمة للانطلاق بما فقد صار أمراً لا يحلم به أبناء الأمة؛ ولذلك فإن مؤسسة مثل مؤسستنا لن يعذرنا التاريخ ولن تعذرنا الأمة إذا لم تقدم لها تفسيرات دقيقة لما يحدث واستشرافات دقيقة كذلك لما يتوقع، ثم كيف نحوي هذا الذي لا يتوقع؟ كيف نحول اتجاهه؟ كيف نستوعبه؟ كيف نتجاوزه؟ إن كل الأفكار التي طرحت قبلاً والمشروعات التي اقترحت أثبتت الأحداث الراهنة والتحديات الحاضرة فشلها وعجزها عن إقناع الإنسان المسلم بقدرته أو بأن هناك احتمالاً ممكناً في أن يستعيد فاعليته ويتغلب على مشكلاته وتحدياته ويكاد اليأس يستولي على جميع العقول والقلوب، ليس بوسع المفكر أيّاً كان أن ينسلخ من ضغط

وتأثير هذه التحديات إلا إذا قرر الاستقالة والانزواء أو اعترف بأنه لم يحسن تقدير الموقف
فاقتراح حلولاً لم تؤثر ولم تستطع أن تحول بين الأمة والوصول إلى هذا الدرك الهابط.

فالمعهد ومفكره وكل من له صلة به مطالبون بأن يجيبوا على الأسئلة التالية:

1- هل كان في مقدور المعهد أن يقدم مع بداية التأسيس تصورًا لمشروع لن يسمح إذا
وجد من يتفهمه ويقتنع به للوصول الأمة إلى هذا الدرك الهابط؟

2- هل هذا الدرك الذي بلغته الأمة بلغته بجريرة تاريخية أم بجهد من أعدائها ناجح
وفشل أو ضعف في مشاريع أبنائها؟

3- هل هناك أفق لمغادرة هذا النفق المظلم؟ كيف؟ ومتى؟

4- ما دور مؤسسات الأمة - ومنها المعهد - خلال العقود القادمة في دفع الأمة خارج
ذلك النفق؟

5- كان المعهد عند التأسيس يؤكد على أنه يربط على الثغرة الفكرية كي يخرج الأمة من
تلك الأزمة الفكرية، هل أخرجها من تلك الأزمة؟ وبأية نسبة؟ هل لديه تصور لكيفية
الخروج؟ هل سيدخل تعديلات على برامج وخطته ومناهجه على معالجة هذه الأزمة
والخروج منها.

6- هل يمكن أن نستشرف أفقا للخروج من هذه الأزمة كيف؟ ومتى؟

هنا نجد أنفسنا مثل سائر المؤسسات الأخرى أمام مجموعة هائلة من التحديات والضغوط
تفرض علينا أن نتقدم للأمة بمشروع حضاري كامل شامل للفكر والمعرفة والاقتصاد
والإصلاح السياسي والاجتماعي والإصلاح التعليمي والإداري يمكن أن تجتمع عليه كلمة
الأمة وتشعر وهي تنظر فيه أنه ما يزال هناك أمل بأن تدب الحياة في أوصالها مرة أخرى،
ويستطيع أن يستفز البقية الباقية من عناصر الحيوية فيها ليضعها على طريق مستقيم، هذا

المشروع لا بد أن تكون مرجعيته القرآن المجيد وفي نظري المتواضع أنّ القرآن الكريم يمكن أن يقدم لنا في هذه المرحلة دعائم خمسة يمكن أن نسميها بالمقاصد القرآنيّة العليا الحاكمة وهي:

التوحيد

التزكية

ال عمران

الأمّة

الدعوة

وهذه المقاصد العليا الخمسة تمثل نسقًا مفتوحًا يولد قيمًا أخرى تتفرع عنها مثل: الحرية، المساواة، العدل. وتستهدف المنظومة كلها حماية النفس البشرية والمحافظة عليها والحيلولة دون حدوث شيء أيًا كان يحدّ من فاعليتها أو يبدد من طاقاتها ويحفظ للإنسان حقوقه كلها: ماله وعقله وعرضه ودينه في إطار تلك القيم والمقاصد بمستوياتها كلها، ودور المعهد في هذا أن يعمل بكل وسائله من ندوات وكتابات وتعليم على بناء الوعي بهذه المقاصد وإشاعة ذلك وامتلاك المواد التي تعرف بها لتوصيلها إلى كافة المستويات، ليس ذلك فحسب إذا لا بد أن يصحب ذلك دليل عمل على توعية الأمّة بكيفية تفعيل تلك المقاصد وجعلها ثقافة شائعة ووعيًا سابعًا لا يمكن تجاهله وليتم ذلك لا بد من جعل هذه القيم والمقاصد في متناول الجميع بكل الوسائل الممكنة.

إنّ العقل المسلم اليوم يهيمن على حاضره ماضيه فيدمره له، ويصادر له مستقبله كذلك، ولكي نتزع هذا الإنسان المسلم من هذه السيطرة المدمرة لا بد أن يقتنع بهذا البديل الذي نقدمه، ولذلك فإن هذا البديل ينبغي أن يقدم بحذر شديد وبعد أن ينضج كل جزء منه على

نار هادئة، آنذاك يمكننا أن نقدم دليل عمل لعقود قادمة لعله ينتهي بأفضل مم انتهت إليه عقودنا الماضية.

حين تبلغ الأمة حالة من حالات تفسخ أو تشظي حضاري وتفكك فتجاوز مرحلة الانقسامات القوميّة والإقليميّة والطائفية لتدخل في مرحلة تشكيل كيانات هزيلة لا تعرف لها هدفاً، ولا تستطيع أن تحدد غاية، أو ترسم لذاتها مقصداً، كما لا تستطيع أن تدرك شيئاً من خصائص أمتها ولا العصر الذي تعيش فيه، فضلاً عن العالم القائم، تصبح أهم خدمة يمكن أن تقدم لبقايا هذه الأمة التي بلغت حالة التفكك أن نحدّد لها هدفاً، ونرسم لها غاية، ونضع بين عينيها مقصداً، يمكنها تفهمه واستيعابه وحشد ما بقي لها من طاقات باتجاه تحقيقه.

فهذه الظواهر والانقسامات التي نشهدها مثل ظاهرة داعش وقبلها القاعدة، ومعها وبعدها ما يقرب من مائة حزب وحركة وتوجه، تتوزع وتتقاسم فيما بينها أبناء الأمة وطاقاتهم، فلا تزيدا إلا انقسامات جديدة، وتوزع بين اتجاهات متباينة متضادة، لا تؤدي إلا إلى مزيد من التفكك والتفسخ، وتظل الانشطارات تسير بها من مستوى إلى آخر، حتى تتحول إلى مجرد أفراد، لا وجهة لهم، ولا هدف، ولا مقصد، ولا غاية، يسرون خلف كل ناعق، تتجاذبهم الأهواء، وتضطرب بينهم الآراء.

فإذا كانت هناك مشاريع إصلاحية تجديدية فستجد نفسها بتأثير تلك الظواهر والشظايا محاصرة بأفكار لا جذور لها إلا في ماضٍ سحيق، تظهر أو يظهرها هؤلاء لمحاصرة وتفرغ أي مشروع إصلاحية جاد، مثل مشروعنا. في هذه الحالة لا بد من التفكير بمشروع يستطيع أن يخرج شظايا هذه الأمة وبقاياها من هذا الضياع أو التيه، الذي يجعلها تعيش حالة التمزق هذه والتفسخ والانشطارات التي لا تتوقف.

واعتقد أنّ مشروعنا في المعهد بكل ما تفرع عنه وأضيف إليه أو اتصل به من مشاريع فرعية تلتقي عند العمل على معالجة الأزمة الفكرية، لتكون هذه المعالجة منطلقاً لمعالجة الأزمات الأخرى المتعددة.

وحين نستلهم القرآن الكريم باعتباره المرجعية الوحيدة الهادية إلى ما هو حق وأحسن تفسيراً، والقائدة للتي هي أقوم، نجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن أعلن دعوته، وأخبر الناس باصطفائه نبياً ورسولاً، بشيراً ونذيراً، دون أن يفارق حالته البشرية، اتخذ سبيلين: سبيل الإعلان عن الرسالة والرسول، وتلاوة الوحي النازل عليه من آيات الله على الكافة، وذلك حين كان يذهب إلى المسجد الحرام ليقراً على الناس ما أنزل إليه من ربه.

والسبيل الثاني هو إذا أسلم أحد ذهب إلى دار الأرقم حيث يقوم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعليم أصحابه الكتاب والحكمة، ويزكيهم به، ويعدّهم للمراحل القادمة.

أخذ ذلك الإعلام والتعليم ما يقرب من ست سنوات، علم الناس فيها أنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) نبي ورسول، وعلموا جوهر تلك الرسالة، وهو التوحيد، وتزكية الناس، ووضعهم على طريق القيام بالاستخلاف، وال عمران، والوفاء بالعهد الإلهي؛ فأمن به في السنوات الست الأولى هذه ما لا يزيد عن أربعين شخصاً، نساءً ورجالاً، ومعظمهم من الضعفاء، والأرقاء، ومن إليهم.

في السنة السادسة بعد أن أسلم حمزة وعمر وكان بين إسلامهما ثلاثة أيام فقط؛ استأذنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يخرجنا بمؤلاء المسلمين ويقود هذه المجموعة المؤمنة للطواف بالبيت الحرام، والصلاة فيه، فرحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك الاقتراح، وأمر المجموعة أن تنقسم إلى صفتين، يتقدم أحدهما حمزة، ويتقدم الثاني عمر، وإذا كانت أساليب قريش في مقاومة الدعوة كانت تقوم على إيذاء من يعلنوا إسلامهم وتعذيب الضعفاء فهذا قد ثبت لهم أن أساليبهم تلك لم تحل دون انتشار هذه الدعوة والرسالة،

ونجاحها في تكوين مجموعة متماسكة مهما قل عددها، لكن تماسكها وتضامنها ووحدها وتنوعها جعل قريشاً تشعر بأنَّ عليها أن تغير كل شيء، وأن تضع سياسات أخرى تتعامل مع الظاهرة خارج دائرة الفردية، فكانت مرحلة محاصرة المؤمنين في شعب أبي طالب، وما جرى في ذلك خلال سنوات الحصار الثلاثة.

أوردت ذلك لأشير إلى أنَّ مشروعنا في المعهد نستطيع أن نقول: بأن ما مضى منذ التأسيس أو قبل التأسيس قد أدى إلى التعريف بالفكرة الأساسية والمؤسسة وأهلها، وتحققت إنجازات على مستوى الأفكار والأشخاص والأشياء، لكن من الواضح في ظل ما يجري أنَّ المشروع الآن مثل سائر مشاريع الإصلاح مهدد بالمحاصرة الشديدة التي قد تفرض على الجيل الذي سيستلم منّا إحداث تغييرات كثيرة نفضل أن نترك شيئاً من المعالم التي تساعد الجيل التالي على الاستفادة من التراكمات التي حدثت ووضعها في إطار مؤثر، يسمح للمشروع لا للبقاء فقط بل بالبقاء وتطوير نفسه لمواجهة التحديات الجديدة المنتشرة في عالم اليوم، الذي لم يعد المؤثر فيه مجرد مؤثر محلي أو جزئي أو خاص بالمسلمين، بل صار مؤثراً عالمياً، قائماً على "قواعد تفكير عالمية مشتركة"، بكل سلبياتها وإيجابياتها، فإذا تسلم الجيل الثاني هذه المؤسسة فإنَّ لديّ خشية أن ينتهي المشروع على يديه إلى وجهة أخرى غير ما حدد من الرعييل الأول.

ولذلك فإنني أقترح أن نأخذ بنظر الاعتبار خمسين سنة قادمة، نضع لها مشروعاً حضارياً ذا مرجعية قرآنية فحسب، هذا المشروع يستهدف إعادة بناء الأمة من جديد، باعتبارها أمة.

ومن الواضح أن تصور المدينة ووثائق المدينة في العهد النبويّ ليس هو التصور الممكن التنفيذ، لكنّه تصور يمكن أن تستخلص بعض الدروس والعبر منه، ويعاد البناء وفقاً لمعطيات هذا العصر والعصور التالية له، وتبدأ بالبناء على ما تحقق، وتستهدف إيجاد وعي يلاحظ الانقسامات التي آلت الأمة إليها، فهناك عرب وهناك فرس وكرد وعالم ملايو وأقليات خارج

الدار التي كانت تسمى "بدار الإسلام"، ويمكن أن يعمل مشروع من دراسات وحلقات علمية وندوات لإحياء "مفهوم الأمة" لدى هذه العوالم كل بحسبه، فلعالم الملايو خصوصياته، وللعالم العربي خصوصياته، وللأقليات خصوصياتها، المهم أن نبنى المشروع على دعامين أساسيتين في البداية: دعامة "القرآن، والأمة"، دون تجاهل لدور التوحيد والتزكية وال عمران والدعوة في هذا المجال.

التوعية بالقرآن الكريم: من أجل أن نعيد بناء المرجعية الواحدة للأمة. والوعي بالأمة: من أجل أن نتبين ونعزز ونقوي جميع المشتركات بينها، ونعمل على تقليص أسباب الاختلاف والتقليل منها.

وتأتي مرحلة أخرى يجري فيها التوعية بأسلمة المعرفة وبناء نظرية المعرفة المشتركة مع ملاحظة كل تلك الفروق والإعداد للخروج من حالة الأمية والتمزق الفكري والثقافي والانقسام حول الاتجاهات الحضارية وبناء قواعد تفكير مشتركة بين مكونات الأمة كلها، من عرب وترك وفرنس وعالم ملايو وأقليات.

أظن أن المثال الذي يمكن الاستفادة به لوضع مثل هذا التخطيط بشكل تفصيلي هو تشكيل المجموعة الأوروبية الذي بدأ الفكرة، وانبثق عن إحساس الأوروبيين بالأزمة، نتيجة حربين عالميتين وقعت في نصف قرن، كما أن التجربة الأمريكية تجربة يمكن استخلاص بعض الدروس منها، وعمليات الوعي بالأمة يمكن أن تستوعب قضايا مشتركة كثيرة. منها ربط ديار المسلمين كافة بشبكات مواصلات واتصالات، والمناداة بالاستثمار في المحيط الإسلامي بدلا من الاستثمار خارجه، وبيان فوائد ذلك بدراسات علمية متقنة، وإيجاد وعي لدى رجال المال والأعمال والدول والحكومات بتلك الفوائد وما إليها.

فإذا كان الاقتراح من حيث الجملة مفيدا فقد يكون من المناسب أن تكتب ورقة عمل يخط مسودتها أبو أيمن وأستطيع المساهمة فيها مع عناصر أخرى يمكن طرحها حينما يُقر المبدأ.

والله الموفق.